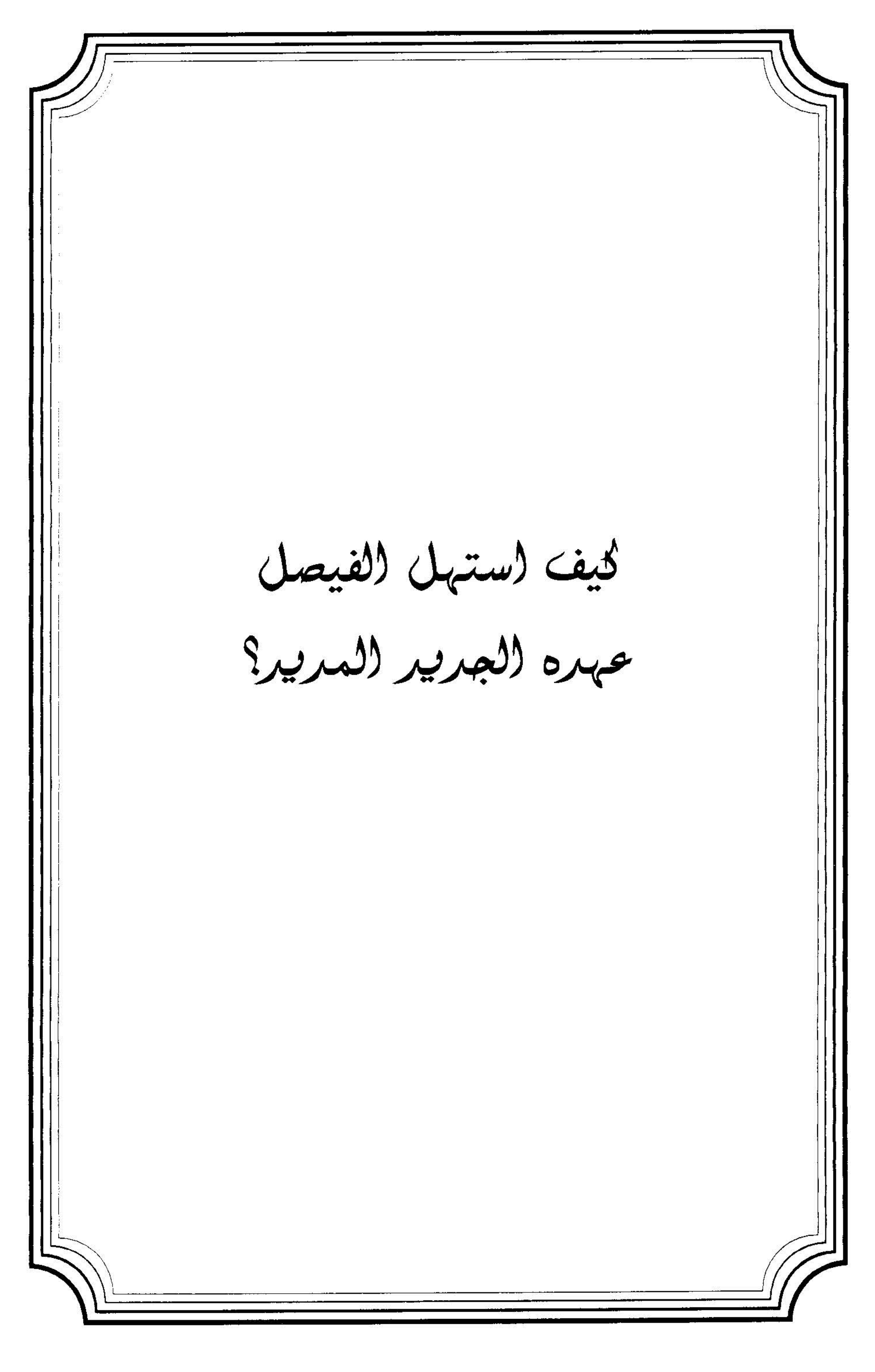


كيف استهل الفيصل عهده الجديد المديد؟

حكم فيصل بعد عودته الثانية من مصر

مدخل تاريخ الجزيرة العربية الحديث

قال فيلبي في «تاريخ نجد»:

«تعتبر المرحلة الثانية من حكم فيصل مدخل تاريخ الجزيرة العربية الحديث، فقد انسحبت الحاميات التركية الصغيرة الموزعة في الصحراء، إلى الحجاز في عهد ابن ثنيان.

ولم تكن هناك قوات أجنبية تزعج فيصلاً، فاستأنفت نجد مجرى حياتها العادية».

وتحدث فيلبي عن الرسالة ـ النصيحة التي وجهها فيصل إلى شعبه، وقال إنها كانت ثمرة تأملات روحية طويلة أثناء سجنه في مصر.

وتضمنت الرسالة أن تقوى الله ومخافته أساس الحياة السعيدة، وأهم عناصر هذه السعادة الاعتقاد بوحدانية الله.

وعدَّد فيلبي أهم ما جاء في الرسالة، ثم قال: **إن فيصلاً لم يكن يفكر في استغلال الحماس الديني لصالح النشاط الدنيوي في دولته**، مثلما فعل أسلافه من قبل.

وكان اهتمام فيصل الخاص منصرفاً إلى اختيار الموظفين الأكفياء للمناصب المختلفة في الأقاليم والمقاطعات.

ترتيبات فيصل العسكرية

كانت ترتيباته العسكرية إدارية محضة، فالتعبئة العامة للجيوش تستند إلى قيود وسجلات تفرض على كل قرية ومدينة وقبيلة أن تقدم عدداً من الرجال والجمال والخيول. وكانت هذه النصوص جميعها مفهومة ومعروفة لدى كل من يعنيهم

الأمر، وكانت الدولة تقوم بتزويد الجيش بالسلاح والذخيرة عند الضرورة، غير أن المجندين هم الذين كانوا يحضرون معهم جمالهم (في بعض الأحيان رجلين لكل جمل) أو يسيرون على أقدامهم، بينما كان الخيالة يحظون بمعاملة خاصة، وكان كل موظف يتناول راتبه من نتاج دائرته.

وإذا ما استولى جيش سعودي على غنائم، خصص قائده خُمسها لخزانة الدولة، ووزع الباقي بنسبة سهم واحد لذي الراحلة وسهمين للفارس.

أما مجرى الحياة العادية في نجد فقد كان يتضمن الخروج للرعي أو الغزو، خلال فصلي الشتاء والربيع من كل سنة، وفترة استراحة خلال أشهر الصيف الحارة، ويلذ لنا أن نعرف كم من النشاط العسكري امتدَّ حتى أشهر الصيف الحارة، وكم بدأ في أشهره الشديدة الحرارة التي تكاد تجعل القيام بأية أعمال حربية متعذراً.

أما بخصوص الشتاء والحملات التأديبية التي كانوا يوجهونها ضد القبائل أيامه، فلربما كان السبب أن القبائل تنتشر أثناء ذلك الفصل الممطر في مساحات واسعة من الصحراء، فتسهل الإغارة عليها، أما في الصيف فإنها تتجمع قرب موارد الماء للسقاية.

ويبقى العمل ضد الأتراك.. وربما كان تأثير الطقس في الأعداء يعتبر عاملاً ملائماً للعرب في حملات الصيف.

كان الإمام فيصل شديد الحرص على تعميم الدروس الدينية، فكان يرسل مع كل قاضٍ أو عامل يسميه، سواء في الرياض أو في البلدان الأخرى، واعظاً أو أكثر ليفقه النّاس في أمور دينهم وصالح دنياهم.

وكان يصحبه في غزواته دائماً علماء صالحون يقرأون آيات من القرآن الكريم ويفسرونها، ويقرأون طائفة من الأحاديث النبوية الصحيحة ويشرحونها، سواء في مجلس الإمام أو في مجالس معاونيه.

ونستطيع القول إن عناية فيصل بن تركي الفائقة بالدين والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأساليب لينة مقبولة تعد من أبرز ملامح عهوده كلها

ولقد كانت عهوده زاخرة بالنهضة العلمية في جميع البلدان الخاضعة لحكمه ولمعت فيها أسماء قضاة وعلماء من الطراز الأول.

فيصل والسياسة:

كان فيصل يداري كثيراً الخليفة العثماني ويظهر الولاء والانقياد إليه، ليقوى بذلك على رجال محمد علي وأولاده وعماله من جهة، وليكفل لنفسه من جهة ثانية تأييد الجماعات التي تريد المحافظة على الولاء للسلطان العثماني، ولكنه كان يمضي في حكم البلاد دون أن يتأثر بتوجيه العثمانيين أو غيرهم، فهو يشتري سكوتهم عنه أو تأييدهم له بالمال والهدايا والمجاملات الكلامية.. وكان يرى أن هذا النهج أفضل من التصدي لهم بالمقاومة.

فيصل في أواخر أيامه:

ازدادت مطامع فيصل في أواخر حياته، وأصبح مقتنعاً بأن جميع الجزيرة العربية هي ملك له، وكان يتعجب من تدخل الإنجليز وغيرهم من ممثلي الدول الأجنبية في أمور البلدان العربية التي يجب أن تخضع إليه وحده.

رسالة فيصل ـ النصيحة ـ إلى المسلمين

(رسالة وجدناها في تاريخ الحيدري ولا توجد في كتب التاريخ السعودي المعهودة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين . . وفقهم الله تعالى للتمسك بالدين الذي بعث الله به جميع المرسلين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . . . فإن أجمع الوصايا وأنفعها الوصية بتقوى الله ، قال تعالى : ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ .

وتقوى الله أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله ، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله .

وأعظم التقوى والمصحح لأعمالها : توحيد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين ، وهو مبدأ دعوتهم لأممهم ، وهو معنى كلمة الإخلاص : شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن مدلولها نفي الشرك في العبادة والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿فاعبدِ اللهَ مخلصاً له الدين * ألا لله الدينُ الخالصُ﴾ .

وقد بين الله تعالى معنى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات ، قال تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ ، فهذا معنى لا إله ، وقوله إلا الذي فطرني ، فهو معنى إلا الله ، ثم قال تعالى : ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ ، وهي لا إله إلا الله ، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والإثبات ، قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ .

والآيات في بيان توحيد العبادة أكثر من أن تحصر، وهذا التوحيد هو الذي جحدته الأمم المكذبة للرسل، كما قال تعالى عن قوم هود: ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾، وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلنا بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾.

وأما مشركو العرب، فأخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا أو اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ واحتج عليهم تعالى بما أقرّوا به من توحيد الربوبية فإنه من أقوى الحجج عليهم فيما جحدوه من توحيد الإلهية كما قال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمَّن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت﴾ إلى قوله: ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ وأكثر الناس في هذه الأزمنة وقبلها وقع منهم ما وقع من أولئك المشركين، وهم يقرأون القرآن، فعموا وصمُّوا عن هذا التوحيد وأدلته التي هي أبين في قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة، فيا من يدَّعي معرفة هذا التوحيد، أعرفْ هذه النعمة وقدرها، فإنها أعظم نعمة أنعم الله بها على من عرفها وأحبها وقبلها وعمل بها ولزمها فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالإعراض عنها واحذروا أن يصدكم الشيطان عن ذلك، واعلموا أنه قد غلط في هذا طوائفُ لهم علوم وزهد وورع وعبادة فما حصل لهم من العلم إلا القشور وقد حرموا لبه وذوقه وقلدوا إسلافاً قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، فيا لها من مصيبة ما أعظمها وخسارة ما أكبرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله. واحذروا النفوس الأمّارة بالسوء وفتنة الدنيا والهوى، فإن الأكثر قد افتتن بذلك وظنوا أنهم قد سلموا، وما سلموا وتمنوا التجارة، والتمني رأس مال المفلس نعوذ بالله من سخطه وعقابه، وأنت ترى أكثر الناس معبوده دنياه لها يوالي، وعليها يعادي، ولها يحب ويبغض ويقرب ويبعد، قد اشتغل بها عما خلق لأجله يبتهج بها ويفرح، وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عند ذكره قارون: ﴿إذ قال له قومه لا تفرحْ إن الله لا يحب الفرحين * وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبَكَ من الدنيا﴾ والصحيح أنه الإيمان والعملَ الصالح والإسلام والقرآن هما النعمتان العظيمتان، والفرح بهما محمود ومحبوب إلى الله تعالى قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾. فسر الأول

بالإسلام، والثاني بالقرآن، وقال بعض الصحابة فضل الله الإسلام ورحمته أن جعلكم من أهله فلا غنى لكم عن تعلم هذا التوحيد، وحقوقه من فرائض الله وواجباته وأن يكون ذلك أكبر همكم ومحصل عملكم، ومن أهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمسة حيث ينادى لها كما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون بعدهم، ولذلك عمرت المساجد، وشرع الأذان فيها كما قال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وقوموا لله قانتين﴾ فلا بد في المحافظة من استكمال شروطها وأركانها وواجباتها، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع. والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله كما سبق في الآية ونحوها، جعلها الله طهرة للأنفس والأموال، وزيادة وبركة وحجاباً من النار فالتزموا ما شرعه الله وفرضه، فإن فيه صلاح قلوبكم ودينكم وأخراكم نسأل الله التوفيق.

واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين وأركانه.

قال بعض السلف: أركان الإسلام عشرة: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، حج البيت، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله، الجماعة، والسمع والطاعة. وهذه العشرة لا يقوم الإسلام حق القيام إلا بجميعها والقرآن يرشد إلى ذلك جملةً وتفصيلاً كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾، وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. فإلى الله عباد الله في مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعم وسلمتم به من النقم وقهرتم به من قهرتم، فقوموا به حق القيام وجاهدوا في الله حق جهاده، وأعظموا أمره ونهيه، واعملوا بما شرعه وتعطفوا على الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذي آتاكم كما قال تعالى: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، وقال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تكذبوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾.

فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان وانسخوها، وأعيدوا قراءتها في كل شهرين، واعلموا أنكم مستقبلون عاماً جديداً فتوبوا إلى الله، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير أجمعين.

حوادث سني ١٢٦٠ هـ ـ ١٢٦٧ هـ

حوادث سنة ١٢٦٠ هـ:

في الأحساء: أغار العجمان على ابن الدويش وعربان من مطير، وهزموهم واستولوا على أموالهم وبيوتهم ولجأ الدويش إلى الإمام فكساه ورحله هو وعربانه إلى نجد.

حوادث سنة ١٢٦١ هـ:

حدثت اختلافات بين أهالي الأفلاج، فذهب الإمام إلى بلد (ليلى) ودعا إليه رؤساء الأفلاج وعاقب المعتدين منهم وأصلح الأمور.

وفي آخر هذه السنة «أقبل حاج كثير من الأحساء والبحرين والقطيف ومعهم عجم كثير، فرصد لهم في الطريق «فلاح بن حثلين» رئيس العجمان ومعهم أعراب من سبيع، وشنوا عليهم الغارة وشعثوا من الحاج نحواً من نصفه.. فاستنفر الإمام المسلمين وخرج من الرياض.. ونزل قرب بلدة حريملاء.. واجتمع عليه جميع غزوانه.. فلما سمع ابن حثلين بمغزاه انهزم إلى ديرة بني خالد..» فأقبل العجمان على الإمام يطلبون عفوه، وانسلخوا عن ابن حثلين، الذي هرب...

وفي هذه السنة أرسل الإمام العمال لقبض الزكاة من جميع عربان نجد...

حوادث سنة ١٢٦٢ هـ:

أمر الإمام رجاله بأن يأخذوا ابن حثلين من عند الدويش ـ الذي كان التجأ إليه ـ فأخذوه، وقطعوا رأسه.

حوادث سنة ١٢٦٣ هـ:

قام شريف مكة محمد بن عون بتجهيز مقاتلين من أهل القصيم كانوا عنده،

وعساكر من الترك كانوا في المدينة والحناكية، وجاء إلى القصيم يريد الاستيلاء عليه، وكان أهل القصيم زينوا له أن الإمام فيصل لن يتحرك من مكانه ولن يفعل شيئاً ضده، ولكن الإمام جهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الله لمقاتلته، فلما علم الشريف بذلك داخله الفشل، ولكن أنصاره وعدوه بالمقاتلة معه فصمد قليلاً، ثم طلب من الإمام الصلح، بشرط أن يحفظ له ماء وجهه، وذلك بأن يرسل له هدية من الخيل وغير ذلك، ففعل الإمام، لما عرف عنه من كرم وشهامة.

وجاء أهل القصيم بعد ذلك إلى الإمام واعتذروا وبايعوه.

ويقول (أحمد السباعي) في كتابه تاريخ مكة:

«توجه محمد بن عبد المعين بن عون على رأس جيش مقاتل إلى نجد، بأمر من العثمانيين لقتال أمير الرياض فيصل بن تركي.

فلما انتهى إلى القصيم توسط أهل القصيم في الصلح بين الفريقين، وقبل أمير الرياض أن يدفع إلى الخليفة في تركيا خراجاً سنوياً قدره عشرة آلاف ريال».

حوادث سنة ١٢٦٤ هـ:

جاء رؤساء العجمان إلى الإمام فيصل وقدموا إليه خيلاً وطلبوا عفوه فعفا عنهم. وجرت خلال هذه السنة وقعة (العاتكة) بين المسلمين الذين أرسلهم الإمام فيصل بقيادة المطيري إلى عمان لقتال (ابن طحنون) الذي تمرد على حكم الإمام، فانهزم المسلمون أول الأمر ثم استطاعوا إخراج ابن طحنون من (قصر البريمي) وقتلوا أكثر رجاله وأخذوا كل أموالهم التي نهبوها من الناس.

حوادث سنة ١٢٦٥ هـ:

وصلت إلى الإمام فيصل أخبار تحالف أهل القصيم على حربه ونقضهم لعهده، فجهز جيشاً بقيادة ابنه عبد الله لمقاتلتهم، وكانت جيوش أهل القصيم أكثر عدداً وكان عدد رجال عبد الله قليلاً، وجرت بين الفريقين، في مكان يدعى «اليتيمة» معركة هائلة، انتهت بانتصار عبد الله. ويقول ابن بشر في وصف الهزيمة التي نزلت بأهل القصيم إنهم ولّوا هاربين «واستمر الضرب والطعن في أقفيتهم بعد أن كان في صدورهم.. فلم تر إلا رؤوساً مقطوعة وأسلاباً منزوعة وأشلاءً مطروحة وجلوداً مجروحة».

وجاء ابن الرشيد إلى الإمام فيصل وسأله العفو عن أهل القصيم وأن بريدة وعنيزة ستبايعانه وتعاهدانه على الطاعة، وكان أهلها يخافون من التنكيل بهم . .
فجاء الإمام إلى عنيزة وبريدة ودخلها وقال للأهلين: «أنتم منا في أمان ولنا عليكم الإحسان» .

حوادث سنة ١٢٦٦ هـ :

تكررت غزوات عبد الله للعربان .

حوادث سنة ١٢٦٧ هـ :

سار الإمام فيصل بجيشه ومعه علماء وقضاة إلى الأحساء، ونزل على (حليوين) الماء المعروف . وكان يقصد بمسيره (البحرين)، «لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة وقطع شيء من الخراج الموضوع عليهم، فلما وصل هذا الماء أرسلوا إليه يطلبون المصالحة والمسامحة . . فلم يقبل منهم» .
ثم رحل وقصد (قطر) . . وجاء إليه أهل قطر وبايعوه على الإسلام والسمع والطاعة . . وأمر الإمام أن يركب القطريون سفنهم وعددها ثلاثمائة ومعهم رجال من غزو المسلمين ويقصدون (البحرين)، ففعلوا وجاء رؤساء البحرين وبايعوا ودفعوا كل ما طلب منهم .

ويندر: حكم ابن رشيد

ابن رشيد

نقل ويندر عن ضاوي بن رشيد قصة إمارة ابن رشيد على الجبل .
بالرغم من المساعدة التي قام بها عبد الله بن رشيد وأخوه عبيد الله في النضال ضد مشاري، فقد عاشا في المنفى، بأمر من صالح بن عبد المحسن بن علي، الذي كان أميراً على حائل .
لقد تلقى الإمام فيصل شكاوى من حائل ضد صالح، وفي ربيع عام ١٨٣٥ م طلب فيصل من صالح القدوم عليه في مخيمه في (شعراء) .
ولما علم بذلك عبد الله وأخوه عبيد الله، خرج عبيد الله من مكانه الذي كان مختبئاً فيه، ووصل إلى فيصل، قبل يوم من وصول صالح .
سأل فيصل عبيداً عن أخيه عبد الله، فقال له إنه مختبىء، وإنه أرسله ليبلغه شكواه من ظلم صالح .

وقال عبيد الله إن صالح أمرهما بعدم معارضة (عنزة) في هجومها على شمر، إلا بعد أن نسمع طلقات نيرانهم من بيوتنا.. ولكن هذا الأمر لم ينفذ، لأن كثيراً من أهل الجبل كانوا يشعرون مثلنا بضرورة النصرة.. ومن أجل ذلك اتهمنا صالح بالخيانة.

ولما وصل صالح ومعه وفد من أهل حائل، سأله فيصل إن كان عبد الله وعبيد الله ارتكبا شيئاً ضده. فأجاب: لا ولكنه سمع أنهما قد يفعلان شيئاً...

ثم سأله عن سبب حكمه عليهما بالنفي.

فقال صالح: إن الشابين هربا من أنفسهما.

فاستدعى فيصل (عبيداً)، وقال له أمام الحاضرين:

أيها المسلمون، أسألكم بالله: أيهما الصادق: هذا أم ذاك؟

إن كانا لم يفعلا شيئاً يستحق النفي، فمعنى ذلك أن صالح كان مخطئاً.

ماذا تقولون يا أهل حائل؟ ولعنة الله على الكاذبين.

هل هناك ما تنكرونه على عبد الله وأخيه؟

فأجابوا: والله ما نعرف عنهم إلا أنهم رجال يكرهون الظلم، وهذا ما جعله خائفاً منهم.

فقال فيصل: أنت يا صالح معزول عن عملك. وسأنظر في رجل يصلح لشعب حائل وأكتب له بالامارة[١]. (انتهى الاجتماع).

وتردد فيصل فيمن يعينه أميراً.. مع أنه قيل له إن أنصار عبد الله وعبيد الله الرشيد من ناحية أنهما يبلغون نصف حائل. وأخيراً رد صالح وعبد الله وعبيد الله إلى حائل، وسلمه صالح رسالة يخاطب فيها أهل حائل، ويقول لهم إنه عزل صالحاً، ويدعوهم إلى اختيار عبد الله وعبيد الله أمراء عليهم، فإن لم يقع اختيارهم على واحد من بني الرشيد عبد الله وعبيد الله، فيجب على كل حال أن يبقيا في حائل ولا يمسهما أحد بسوء إلا إذا صدرت عنهما مخالفة دينية أو سياسية..

---

(١) **ملاحظة**: قصة تعيين ابن رشيد حاكماً على حائل كما رواها ضاري، وأخذها عنه ويندر، يبدو أنها غير صحيحة بمقابلتها بما كتبه ابن بشر.. ثم كيف يترك فيصل جبل شمر بدون أمير؟

وقد رأى صالح، خلال الطريق، أن رأي فيصل غير مناسب.. لأنه قد يؤدي إلى أمارة أحد هذين الشابين فمزّق رسالة فيصل..

وجاء رجل من حائل إلى عبد الله وقال له إن المصريين ينوون إعادة احتلال نجد، فعليه أن يذهب إلى المدينة ويتفق معهم..

وذهب عبد الله إلى المدينة ليأسه من فيصل، وبقي عبيد الله قرب حائل يراقب صالحاً..

وبلغ عبيد الله أن صالح يفكر هو أيضاً في الاسعانة بالترك في العراق أو المصريين في المدينة.. وقرر عبيد الله وجماعته قتل صالح، ففاجأوه في قرية (سليمي) حيث كان ضيفاً عند أحد أهاليها، وقتلوه..

دخل عبيد الله حائل، وأعطى المعتصمين بالقصر الأمان، ولكنهم لم يستسلموا.. فاضطر إلى مهاجمتهم ونجح في إخراجهم من القصر.

عبد الله توصل إلى اتفاق مع خورشيد في المدينة، وجاء ومعه (١٥٠) خيالاً مصرياً.. وفي طريقه هاجم عشائر عنزة وأخذ منهم جمالاً.

ووصلته البشائر من عبيد الله، فأعاد الخيالة المصريين إلى المدينة.. وجاء إلى حائل، واستلم الإمارة.

كان عبد الله شجاعاً، وعاقلاً، ولكن عبيد الله كان أبرع منه في السياسة ومع ذلك لم يحاول عبيد الله قط أن يكون «الأول» في حائل[1].

كتب ابنا الرشيد إلى فيصل بما حدث، فأقرهما وقال إنه يعتبرهما كأبنائه.

وبدأ عبد الله بإنشاء قصر كبير في حي (بارزان) في حائل.

---

(١) **ملاحظة**: من أسباب حسن العلاقات بين حائل والرياض، أن عبد الله بن فيصل تزوج نورة بنت عبد الله بن رشيد، وكان عبيد الله، أخو أمير حائل، يقضي كل سنة شهرين أو ثلاثة في الرياض ضيفاً على فيصل.

ـ مات عبد الله بن رشيد في حائل عام ١٨٤٧م. وخلفه ابنه طلال وكان عمره يومئذ (٢٥) سنة.

وبعد ولاية طلال بقليل، ذهب أخوه متعب إلى الرياض يحمل الهدايا دليلاً على تبعيته وولائه.

العلم الأخضر: لم يحاول طلال الاستقلال عن فيصل (ولا عن ابنه عبد الله) ومع ذلك بدأ الشمريون تدريجياً يرفعون علمهم الأخضر، ذا الحاشية الحمراء. ويقول فالين، حتى في عهد عبد الله بن رشيد: «إن شمر من أقوى العشائر في الجزيرة العربية، وقوتها ونفوذها تعلوان سنة بعد سنة على جيرانهم».

حوادث سني ١٢٦٨ هـ ـ ١٢٨١ هـ

نقل حوادث هذه السنوات كلها من كتاب (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر) تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحلبي.

يقول المؤلف إنه ألَّف الكتاب بأمر جلالة الملك عبد العزيز، وأنه جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر، فبدأه من حيث انتهى ابن بشر، أي من العام ١٢٦٨ هـ.

حوادث سنة ١٢٦٨ هـ:

وصلت عساكر كثيرة من مصر إلى المدينة، في عهد عباس باشا ـ ابن أحمد طوسون ـ وشاعت الأخبار أنهم يريدون الخروج إلى نجد.

وقد خرج من المدينة محمد بن ناصر في تجريدة من الأتراك وانضم إليه كثير من بادية حرب، فأغار على ابن سفيان.. ثم أغار على فرقة من عتيبة على الدفينة فأخذهم...

ولما وصل الخبر إلى الإمام فيصل.. خرج بجنوده من العارض والخرج، ونزل بلد المجمعة حيث اجتمع عليه غزوان بلدان سدير والمحمل والوشم والقصيم..

وفي شهر رمضان جاءت الأخبار بأن عباس باشا جهز عساكر كثيرة إلى بلدان عسير، وأمر عساكر المدينة أن يلحقوا به، فتوجهوا إلى عسير، فحصل الأمن والاطمئنان.

وارتحل فيصل من المجمعة عائداً إلى الرياض، وسرح جنوده، وخلال الطريق أغار على الصهبة من مطير، وهم على أم الجماجم وأخذهم.

حوادث سنة ١٢٦٩ هـ:

غزا فيصل (الجيلان) من مطير على الوفرا وأخذهم وعاد..

أمر فيصل ابنه عبد الله أن يغزو آل مرة، لأنهم أغاروا على أطراف الأحساء وأخذوا قافلة كبيرة في طريق العقير، فصبحهم وهم على (النعيرية) وأخذهم وقتل منهم عدة رجال.

ثم عدا على (نعيم) ومعهم أخلاط من بني هاجر والمناصير، وهم على (سلوى) فأخذهم.

هزيمة المصريين الهائلة في عسير:

وفي هذه السنة جرت بين العساكر المصرية وبين رئيس بلدان عسير، الأمير عائض بن مرعي، معارك شديدة، انتهت بهزيمة المصريين واستئصالهم، وكتب عائض بشارة بذلك إلى فيصل.

وقد نظم القاضي علي بن حسين الحفظي قصيدة في هذه المناسبة وصف فيها هزيمة العساكر ومدح فيها الفيصل، وهذا بعض ما جاء فيها:

«.. تطامت رقاب الروم فيها عيوقها ... كما عاق دود للجراد المقددِ
وفي ربوة (الشعبين) داهية أتت ... عليهم فما أغنت دفاع بعسجدِ
ويم (المقضى) قد تقضت أمورهم ... بفاقرة الظهر التي لم تضمدِ

* * *

وناد بأعلى الصوت بشرى لفيصل ... ومن نسل سادات الملوك مسددِ
إليك نظاماً نشره في وقائع ... على جحفل المصري قد شدَّ باليدِ
فعشرون ألفاً من قضى الله منهم ... فما بين مقتول وغار مجردِ

خراج عمان:

وفيها سار عبد الله بن فيصل بمن معه من الحاضرة إلى عمان ـ وكان بلغه أنه وقع فيهم بعض الاختلاف بين رؤساء البلدان ـ فأحسن الأهلون استقباله، وقدموا إليه الهدايا، وقبض خراج البلاد وأقام أياماً ثم عاد.

حوادث سنة ١٢٧٠ هـ:

الثأر لجلوي من عنيزة:

في هذه السنة ١٢٧٠ هـ ثار أهل عنيزة على أميرهم (جلوي بن تركي) - وهو أخو فيصل - وكان جعله أميراً فيها وعلى سائر القصيم سنة ١٢٦٥ هـ، فاضطر جلوي إلى الخروج من عنيزة وانتقل إلى بريدة، وكتب إلى أخيه بما وقع.. وكان قد تآمر في عنيزة عبد الله اليحيى بن سليم، من أسرة آل سليم ورؤساء عنيزة.. ولما بلغ الإمام فيصل ذلك، أمر عبد الرحمن بن إبراهيم أن يقطع سابلة أهل عنيزة ثم يتوجه إلى بريدة، فأغار على أطراف عنيزة وأخذ ما وجده من المواشي، ثم قدم بريدة. وفي ذي الحجة سار عبد الله بن فيصل بالجنود إلى عنيزة، فلما وصل الوادي أخذ جميع ما عندهم من متاع وأثاث ومواشي وقتل منهم عشرة رجال وقطع النخيل..

ثم خرج عليه أهل عنيزة ومعهم فريق من البوادي وأهل القصيم فجرت معارك شديدة، ثم ارتحل عبد الله ونزل العوشزية ثم روضة الربيعية، حيث قدم عليه عبد الله بن رشيد بغزو أهل الجبل.

حوادث سنة ١٢٧١ هـ:

وقدم عليه بقية غزو أهل نجد.. وخلائق من البادية والحاضرة لا تعدُّ، واشتد الخطب وعظم الأمر، وطلب أهل عنيزة الصلح، كتبوا بذلك إلى الإمام فيصل، فأجابهم إلى ذلك حقناً لدماء المسلمين ورفقاً بهم وأعطاهم الأمان، وذلك بعد أن قدم عليه في الرياض الأمير عبد الله اليحيى بن سليم مع وفد من عنيزة، طالباً العفو ومعترفاً بالخطأ والإساءة والعصيان، فصالحه على أشياء التزم بها عبد الله اليحيى.. وكتب فيصل إلى ابنه بما تم..

وعاد عبد الله وسرح جنوده إلى بلدانهم، وعاد إلى الرياض ومعه عمه جلوي.

حوادث سنة ١٢٧٣ هـ:

غزا عبد الله بن فيصل ومعه غزو أهل الجبل يقودهم ابن رشيد فرقة من عتيبة وهم على شبيرق وأخذهم، ثم أغار على الروسان وهم على الرشادية وأخذهم، ثم عاد.

حوادث سنة ١٢٧٥ هـ:

كتب الإمام فيصل إلى عبد العزيز المحمد أمير بريدة أن يقدم عليه، فقدم عليه مع ولده وخدام له، فانتهره الإمام فيصل وعدد له أفعاله القبيحة وما حصل منه.. فطلب العفو واعترف.. فأنزله الإمام في بيت هو ومن معه، وأجرى عليه نفقة تكفيهم وأمرهم بالمقام في الرياض عنده، وأمَّر على بريدة: عبد الله بن عبد العزيز ابن عدوان.

سار الإمام فيصل بجنوده ونزل على (رماح) وأقام هناك أياماً، ثم عاد إلى الرياض، وخلال مقامه في رماح أمر ابنه عبد الله أن يغزو عربان (بريدة) من مطير لأمور حدثت منهم، فصبحهم عبد الله على (دخنة) وأخذهم، ثم نزل على (عريفجان) واستدعى إليه كبار (بريدة)، فركبوا قاصدين إليه، وفي الطريق صادفهم غزو قحطان فأخذهم وقتلوا منهم خمسة، فغضب عبد الله على قحطان، فلما وصل غزو قحطان، أخذ جميع ما معهم من الخيل وهي نحو ١٤٠ فرساً، وأسر منهم ٢٥ رجلاً، وعاد بهم إلى الرياض، ثم طلب منهم أشياء فأعطوها ودفعوا ديات القتلى من (بريدة) وجميع ما أخذوه منهم، ثم أطلقهم.

حوادث سنة ١٢٧٦ هـ:

قتل عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان، أمير بريدة، قتله رجال من عشيرته آل عليان، وهم عبد الله الغانم وأخوه محمد الخ...

ولما جاء الخبر إلى الإمام فيصل غضب على عبد العزيز المحمد وحبسه، وجعل عبد الله بن غانم أميراً في بريدة، فكثر القيل والقال...

وكتب عبد العزيز بن المحمد، وهو في الحبس، إلى الإمام فيصل: لو أذنت لي بالمسير إلى بريدة لأصلحت الأمر، وأمسكت قتلة ابن عدوان.

وقد أطلقه الإمام وأخذ عليه العهد، وأرسله إلى بريدة أميراً عليها.

مع العجمان:

يقول مؤلف الدرر إن تركي ثم فيصل ساعدا العجمان فصارت لهم شوكة، ونزلوا في ديرة بني خالد، ولكنهم صاروا يعتدون على الناس وعلى مواكب الحج، وقد كان الإمام فيصل أمسك برئيسهم فلاح بن حثلين سنة ١٢٦٣ هـ وأرسله مقيداً إلى الأحساء وطيف به ثم ضربت عنقه.

وفي هذه السنة غزا العجمان بقيادة راكان بن فلاح بن حثلين على إبل الإمام فيصل وأخذ طرفاً منها.

معركة هائلة مع العجمان:

أمر فيصل ابنه عبد الله بغزو العجمان، فخرج في شعبان بغزو الرياض والخرج والجنوب واستنفر البادية من سبيع والسهول وقحطان ثم عربان مطير، وقصد إلى (الوفرا) الماء المعروف وعليه عربان من العجمان فأخذهم، وانهزمت شرائدهم إلى (الصبيحية)، حيث ينزل فريق من العجمان، فتبعهم عبد الله إلى هناك وأخذهم وانهزمت شرائدهم إلى (الجهرا) حيث ينزل ابن حثلين، وقد قام رؤساء العجمان وشجع بعضهم بعضاً وعمدوا إلى سبعة جمال وجعلوا عليهن الهوادج، وأركبوا في كل هودج منها بنتاً جميلة من بنات الرؤساء محلاَّة بالزينة، واستصحاب النساء الخرايد في وسط جموع الحرب عادة جاهلية بقيت إلى الآن لأجل أن يشجعن الفتيان فيقاتلون العدو قتال المتهالك، ثم قاموا إلى الإبل فقرنوها ثم ساقوها أمامهم وتوجهوا لقتال عبد الله ومن معه من جنود المسلمين. . فلما وصلوا إليهم نهض إليهم المسلمون، وحصل بين الفريقين قتال شديد يشيب من هوله الوليد، فانهزم العجمان هزيمة منكرة شنيعة، فتركوا الهوادج والإبل وجميع أموالهم وقتل منهم سبعمائة، وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يعد ولا يحصى وانهزمت شرايدهم إلى الكويت، وكانت هذه الوقعة في ١٧ رمضان.

وأقام عبد الله على الجهرا عدة أيام وأرسل بالبشارة إلى أبيه.

حوادث سنة ١٢٧٧ هـ:

اجتمع رؤساء العجمان وتشاوروا في أمرهم، فاتفقوا مع المنتفق وعقدوا معاهدة دفاع وهجوم موجهة خاصة ضد نجد، وصاروا يغيرون على أطراف الأحساء وعلى وادي الزبير والبصرة والكويت.

ثم جاءت الأخبار إلى الإمام فيصل بمسير العجمان ومن معهم من عرب المنتفق إلى أرض الكويت، وأن قصدهم المحاربة للمسلمين، فاستعد الإمام فيصل لهم، وفي آخر شعبان أمر ابنه عبد الله أن يسير بجنود المسلمين لقتالهم، فخرج من الرياض وتوجه إلى (الخفنة) حيث اجتمعت عليه جنود المسلمين، ثم توجه إلى الوفرا ثم الجهرا، القرية المعروفة بالقرب من الكويت حيث كان العجمان والمنتفق

نازلين، فصبحهم وحصل بين الفريقين قتال شديد وانهزم العجمان ولجأوا إلى البحر، وهو جازر، فدخلوا فيه، ووقف المسلمون على الساحل، وغرق من العجمان نحو ١٥٠٠ وقتل منهم خلائق كثيرة وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يعد ولا يحصى، وذلك في ١٥ رمضان، وأرسل عبد الله البشارة إلى أبيه.

وبلغ ذلك أهل الزبير والبصرة ففرحوا.. وأرسل باشا البصرة ورئيس الزبير الهدايا إلى عبد الله بن فيصل.

ولما وصل عبد الله الهنا، في طريق عودته إلى الرياض، بلغه أن ابن سقيان ومن تبعه من مطير على (المنسف)، قرب الزلفى فعدى عليهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال.

ثم توجه إلى القصيم، ونزل روضة (الربيعة) فلما بلغ ذلك إلى أمير بريدة عبد العزيز المحمد بن عبد الله بن حسن هرب بأولاده وبعض رجاله إلى مكة.. فلحق به الأمير محمد بن فيصل وأدركه في (الشقيقة)، وقتله هو وأولاده وبعض رجاله..

وولى الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً على بريدة.

رواية تاريخ الأحساء:

ويقول مؤلف تاريخ الأحساء إن أهل عنيزة خرجوا عن طاعة الإمام فيصل وغزوا بلاد بريدة ودخلوها ليلاً فقاتلهم أهلها.. فأمر الإمام ابنه (محمد) أن يسير لنجدتهم فسار في جمع من أهل الرياض وأهل الجنوب، ومعه عدد من شيوخ آل الشيخ وغيرهم وقدم عليه رؤساء جبل شمر من حائل بمن معهم، وحاصر عنيزة.. وفي شعبان سار الأمير محمد بن أحمد السديري في جمع كثير من أهل الأحساء مدداً للأمير محمد بن فيصل، وقصدوا بلد الرياض ثم ساروا منها بقيادة عبد الله بن فيصل ومعه المدافع الثقيلة فشدد الحصار على عنيزة ورماها بالمدافع، فأذعن أهل عنيزة وطلبوا الصفح والعفو واستعمل الإمام فيصل محمد بن أحمدالسديري أميراً في عنيزة.

حوادث سنة ١٢٧٩ هـ:

أمر فيصل ابنه محمد السير لقتال أهل عنيزة، فسار إلى بريدة، وانضم إليه غزو أهل الجبل، ثم سار إلى عنيزة، فحصل بينه وبين أهلها قتال شديد، وانهزم أهل عنيزة، وقتل منهم (٢٠)، ونزل محمد ومن معه (في مقطاع الوادي)، وشرعوا

في قطع النخيل. . وفي ١٥ جمادى الأولى خرج إليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال شديد، فانهزم محمد ورجاله إلى خيامهم، ولكن الله أنقذهم، فقد هطلت الأمطار، وكان سلاح أهل عنيزة البنادق الفتيل، فبطل عملها من شدة المطر، فكر عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم نحو (٤٠٠) رجل، وأقام محمد هناك وأمر جنوده بقطع نخل الوادي. . فقطعوا غالبها واحتصر أهل عنيزة في بلدهم. .

. . ثم أمر فيصل ابنه عبد الله بغزو عنيزة. . فخرج بجنود المسلمين، ومعهم المدافع والقبوس، فلما وصل إلى شقراء، أرسل عبد الله إلى أخيه محمد، وهو إذ ذاك في وادي عنيزة، المدافع وأثقاله. . ثم توجه إلى عنيزة وحاصرها ونصب عليها المدافع ورماها رمياً هائلاً، واجتمع عليه أخوه محمد. . وأحاطوا على البلد. . واشتد الخطب، ودام الحرب أياماً، ثم طلب أهل عنيزة الصلح من عبد الله. . وكان أبوه قد قال له أن يجيبهم إلى الصلح إذا طلبوه، وأن يكون عقد الصلح على يد فيصل نفسه. . فكتبوا إلى الإمام فأجابهم إلى الصلح، وخرج عبد الله بن يحيى إلى الإمام فيصل واعتذر واعترف بالخطأ. .

ثم استعمل الإمام فيصل محمد بن أحمد السديري أميراً على بريدة وعلى سائر القصيم ـ وكان قبل ذلك أميراً على الأحساء ـ.

حوادث سنة ١٢٨٠ هـ:

طلب أهل الأحساء من فيصل إعادة السديري أميراً عليهم، ففعل فيصل، وعيَّن على بريدة سليمان الرشيد، ثم عزله وأمر مكانه مهنا الصالح أبا الخيل.

حوادث سنة ١٢٨١ هـ:

فيها سار عبد الله بن فيصل إلى الأحساء، فأغار على نعيم ومعهم أخلاط من آل مرة، لكثرة غاراتهم على أطراف الأحساء، فأخذهم وهم على (حلبون) وقتل منهم عدة رجال.

ثم أغار على آل مرة ومعهم أخلاط من المناصير فأخذهم، وصادف ركباً من العجمان فأخذهم وقتلهم.